ـ بَيْنَ يَدَى الكِتَاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

حَدَثَت تَطَوُّرَاتٌ عَظِيمَةٌ فِى مِجَالِ الدِّرَاسَاتِ النَقْدِيَّةِ التَّطْبِيقِيَّةِ المُعَاصِرَة ؛ وَأَصْبَحَت النَّظْرَةُ إِلَى البِنَى الشِّعْرِيَّةِ ـ عَلَى وَجْهِ الخُصُوص ـ تَعْتَمِدُ عَلَى أُمُورٍ جَدِيدَةٍ ـ شَرِيطَةُ تَوَافُرِ القَوَاعِدِ الكِلاسِيكِيَّةِ المَعْرُوفَة ـ لَم تَكُن مَحِلَّ عِنَايَةٍ وَاهْتِمَامِ النُّقَّادِ فِيمَا مَضَى ؛ كَأَثَرِ الجَرْسِ المُوسِيقِىِّ فِى التَّأْثِير ؛ وَتَقْدِيرِ هَذَا العَامِلِ بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِمَّا سَبَق ؛ وَالإِفْرَاطِ المَحْمُودِ فِى الصُّورِ وَالتَّخَيُّلات ؛ وَالشِّدَّةِ المَشُوبَةِ بِالرُّؤيَةِ الرُّومَانْسِيَّة ؛ وَالمُبَالَغَةِ فِى النَّزْعَةِ الهُرُوبِيَّة ؛ ثُمَّ دُخُولُ الشِّعْرِ إِلَى دُنْيَا الإِعْلامِ المَرْئِىِّ ؛ وَقِيَامِ الأَدَاءِ الصَّوْتِىِّ بِدَوْرٍ يُوشِكُ أَن يَكُونَ هُوَ صَاحِبُ التَّأْثِيرِ الأَوَّلِ عَلَى نُفُوسِ وَعُقُولِ وَمَشَاعِرِ المُشَاهِدِينَ وَالمُسْتَمِعِين .

نَسْتَطِيعُ أَن نَقُول : أَصْبَحَت « نَظَرِيَّةُ النَّقْد » لا تُمَثِّلُ رُؤْيَةً وَاحِدَةً مُتَكَامِلَةً ؛ وَإِنَّمَا تُمَثِّلُ سَائِرَ الاتِّجَاهَاتِ بِكُلِّ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِن جَوَانِبِ القُوَّةِ وَالضَّعْف ؛ وَالَّذِى يُفَرِّقُ بَيْنَ اتِّجَاهٍ نَقْدِىٍّ وَآخَرٍ هُوَ دَرَجَةُ التَّرْكِيزِ عَلَى الجَانِبِ الَّذِى تَقُومُ النَّظَرِيَّةُ النَّقْدِيَّةُ عَلَيْهِ ؛ سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الجَانِبُ هُوَ المُرْسِلُ [المُؤلِّف] ؛ أَو الرِّسَالَةُ [العَمَلُ الأَدَبِىُّ] ؛ أَو المُرْسَلُ إِلَيْهِ [القَارِىءُ وَالمُتَلَقِّى] ... ؛ وَمَهْمَا يَكُن مِن أَمْرِ هَذِهِ الاتِّجَاهَاتِ الَّتِى تُمَثِّلُ نَظَرِيَّةَ النَّقْد ؛ فَإِنَّ الاتِّجَاهَ البَلاغِىَّ أَو النَّظَرِيَّةَ البَلاغِيَّةَ أَو النُّمُوذَجَ البَلاغِىَّ : يَنْظُرُ إِلَى العَمَلِ

الأَدَبِىِّ مِن زَاوِيَةِ عَنَاصِرِهِ الثَّلاثَة [المُرْسِل ؛ وَالرِّسَالَة ؛ وَالمُرْسَلُ إِلَيْه] .

.....

اتَّسَمَ النَّقْدُ الأَدَبِىُّ فِى بَعْضِ مَوَاقِفِهِ بِالانْطِبَاعِيَّةِ ؛ وَفِى بَعْضِ الأَحَايِينِ رَأَيْنَاهُ يَتَشَبَّثُ بِالعِلْمِيَّةِ الدَّقِيقَةِ الصَّارِمَةِ الجَّافَّةِ وَالَّتِى تَخْلُو مِن الرُّوحِ الإِبْدَاعِيَّةِ المُتَأَمِّلَةِ الَّتِى يَجِبُ تَتَوَافَرَهَا عِنْدَ أَبْنَاءِ هَذِهِ الصِّنَاعَة .

.....

مِنَ المُحَالِ أَن نَتَصَوَّرَ أَنَّ وَظِيفَةَ النَّاقِدِ الأَدَبِىِّ هِىَ الوُقُوفُ فِى زِىِّ الحَاكِمِ المُطْلَقِ ؛ وَالَّذِى بِمُكْنَتِهِ أَن يُعْلِى وَيُخْفِض ؛ وَأَن يُعِزَّ مَن يَشَاءُ وَيَقْهَرَ مَن يَشَاء !!... ؛ بَل دَوْرُ النَّاقِدِ هُوَ أَن يَتَعَامَلَ مَعَ النُّصُوصِ وَالبِنَى الأَدَبِيَّةِ بِرُوحِ مُغَامِرٍ مُولَعٍ بِالاسْتِكْشَافِ وَاسْتِكْنَاهِ الحَقَائِقِ وَالبَحْثِ عَن الخَبَايَا وَالدَّفَائِنِ بُغْيَةَ الخُرُوجِ فِى نِهَايَةِ الأَمْرِ بِتَصَوُّرٍ هُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ تَوَافُقَاً مَعَ حَقِيقَةِ النَّقْدِ وَدَوَافِعِه ... ؛ إِنَّنَا نُرِيدُ حِوَارَاً رَفِيعَاً بَيْنَ الخِطَابِ النَّقْدِىِّ الَّذِى يَهْدُفُ إِلَى إِبْرَازِ حَقِيقَةِ الصُّورَةِ مَوْضِعِ البَحْثِ بَعِيدَاً عَن الدِّيكْتَاتُورِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِى لا تَعْتَرِفُ إِلاَّ بِأَفْكَارِهَا المُخْتَزَلَةِ وَأَحْكَامِهَا المُسَبَّقَة ... ؛ أَقُول : إِنَّنَا نُرِيدُ حِوَارَاً رَفِيعَاً بَيْنَ الخِطَابِ النَّقْدِىِّ مِن جِهَةٍ ؛ وَبَيْنَ العَمَلِ الأَدَبِىِّ الَّذِى يُعَوِّلُ عَلَى شَخْصِيَّةٍ لَهَا تَارِيخُهَا وَثَقَافَتُهَا وَذَاتِيتُهَا مِن جِهَةٍ أُخْرَى ... ؛ إِذَا نَجَحَ النَّاقِدُ فِى خَلْقِ هَذَا الحِوَارِ الجَدَلِىِّ المَوْضُوعِىِّ المُبْدِعِ ؛ فَلا عَلَيْهِ حِينَئِذٍ فِى أَحْكَامِهِ وَرُؤَاهِ الَّتِى يَنْتَهِى إِلَيْهَا.

.....

ثُمَّ ... ؛ يَأْتِى هَذَا الكِتَابُ لِيُنَاقِشَ قَضِيَّة « النَّهْضَةُ الشِّعْرِيَّةُ المُعَاصِرَة » ... ؛ وَعَلَى الرَّغْمِ مِن كَوْنِى أَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّ السَّاحَةَ الأَدَبِيَّةَ تَمُوجُ فِى هَذِهِ الأَيَّامِ بِعَدَدٍ هَائِلٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ ... ؛ إِلاَّ أَنَّنِى آثَرْتُ أَن تَسْتَهْدِفَ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ أُولَئِكَ الَّذِينَ « مَلأَوا الدُّنْيَا وَشَغَلُوا النَّاس » ؛ وَوَصَلُوا إِلَى الجَمَاهِيرِ الغَفِيرَةِ عَن طَرِيقِ الإِعْلامِ المَرْئِىِّ وَالقَنَواتِ الفَضَائِيَّةِ ... ؛ فَكَانَ اخْتِيَارِى لِهَؤلاء :

١ـ أَحْمَد بخِيت : وَالَّذِى يُمَثِّلُ ـ فِى دِرَاسَتِنَا هَذِهِ ـ الشِّعْرَ العَرَبِىَّ فِى صُورَتِهِ العَتِيقَة ـ وَإِن عُرِضَ شِعْرُهُ فِى دَوَاوِينِهِ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى ـ .

٢ـ تَمِيم البَرْغُوثِى : وَالَّذِى يُمَثِّلُ الشِّعْرَ فِى صُورَتِهِ الحَدَاثِيَّة ؛ أَى شِعْر التَّفْعِيلَة ـ وَإِن كَانَت لَهُ مُشَارَكَاتٌ حَسَنَةٌ فِى الشِّعْرِ العَمُودِىِّ ـ .

٣ـ هِشَام الجَخ : وَالَّذِى يُمَثِّلُ الشِّعْرَ العَامِىَّ أَو الشَّعْبِىَّ ـ وَإِن كَانَت لَهُ مُشَارَكَاتٌ طَرِيفَةٌ فِى الشِّعْرِ الفَصِيحِ بِصُورَتِهِ التُّرَاثِيَّة ـ .

٤ـ عَمْرو قَطَامِش : صَاحِبُ فِكْرَة « الشِّعْرُ الخَلَمَنْتِيشِى » .

ثُمَّ خَتَمْتُ بِدِرَاسَةٍ عَن الشِّعْرِ النَّبَطِىِّ ؛ وَعَرَضتُ لِعَدَدٍ مِن صُوَرِهِ وَنَمَاذِجِه .

.....

ثُمَّ ... ؛ النَّقْدُ الأَدَبِىُّ فِى أَيَّامِنَا هَذِهِ ـ أَى الَّذِى يُنَاقِشُ الإِبْدَاعَاتِ الشِّعْرِيَّة ـ أَصْبَحَ يَدُورُ فِى فَلَكَيْنِ لا ثَالِثَ لَهُمَا : فَإِمَّا أَنَّ يَوَجِّهَ عِنَايَتَهُ نَحْوَ شَاعِرٍ تُرَاثِىٍّ قَدِيمٍ كَالْمُتَنَبِّى وَأَبِى العَلاءِ المَعَرِّى وَغَيْرِهِمَا ؛ أَو أَن يَذْهَبَ إِلَى شَاعِرٍ مِن شُعَرَاءِ الزَّمَنِ الحَدِيثِ أَو إِلَى شَاعِرٍ مُعَاصِرٍ ؛ وَدَائِمَاً وَأَبَداً كَانَت هَذِهِ

الدِّرَاسَات ـ أَى دِرَاسَاتُ الحَالَةِ الثَّانِيَةِ هَـذِهِ ـ لا تَهْدُفُ إِلاَّ إِلَى رَسْمِ هَالَةٍ مِنَ القَدَاسَةِ حَوْلَ الشَّاعِرِ الَّذِى أُوقِفَ الكِتَابُ عَلَى مُنَاقَشَةِ إِبْدَاعِهِ ؛ فَتَلامِيذُ العَقَّاد لَطَالَمَا صَدَّعُوا رُؤوسَنَا عَن « شَاعِرِيَّة العَقَّاد » ؛ مَعَ أَنَّهُ لا شَاعِرِيَّةَ لَهُ ـ وَإِن كَانَت لَهُ قَصَائِدٌ جَيِّدَةٌ ـ ؛ وَلَكِن : « كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَة » .

وَأَمَّا شُعَرَاؤنَا المُعَاصِرُون ؛ فَإِنَّ جَمْهَرَتَهُم لا حَظَّ لَهُم مِن جُهُودِ النُّقَّاد ؛ فَإِنَّ نُقَّادَنَا لا يَعْبَأونَ إِلاَّ بِالمَشَاهِيرِ ـ شَأْنُهُم فِى ذَلِكَ سَأْنُ نُقَّادُ السِّينِمَا ؛ وَمَا أَعْظَمَ الفَارِقَ القِيمِىَّ بَيْنَ المَجَالَيْن !! ـ ؛ ثُمَّ هُوَ لَيْسَ نَقْدَاً بِالمَعْنَى المَعْرُوف ؛ بَل هُوَ نَقْدٌ صُحَفِىٌّ لا قِيمَةَ لَهُ ؛ غَايَتُهُ :

ـ أَلْقَى فُلانٌ بِالأَمْسِ قَصِيدَةً نَالَت إِعْجَابَ الجَمَاهِير .

ـ الشَّاعِرُ فُلان ... ؛ وَقَّعَ بِالأَمْسِ مَعَ قَنَاة كَذَا .

ـ لِمَاذَا يُسَيْطِرُ الحُزْنُ فِى هَذِهِ الأَيَّامِ عَلَى الشَّاعِرِ فُلان ؟!!... ؛ هَل هُوَ اسْتِيَائُهُ مِن الحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ الرَّاهِنَة ؟!!... ؛ أَم أَنَّهَا قِصَّةُ حُبٍّ جَدِيدَة ؟!!.

وَهَكَذَا ... ؛ هَذِهِ هِىَ طَبِيعَةُ النَّقْدِ الصُّحَفِىِّ !!... ؛ وَلَيْسَ هَذَا بِغَرِيبٍ ؛ فَمِثْلُ هَذِهِ الفِئَةِ مِن النُّقَّاد ـ نُقَّادُ الأَدَبِ فِى الصُّحُفِ وَالمَجَلاَّت ـ ؛ إِذَا مَا عُدَّ نُقَّادُ الأَدَب : فَهَؤلاء ... ؛ لَيْسوا فِى العِيرِ وَلا فِى النَّفِير !!... ؛ إِذَن ... ؛ فَلا عِبْرَةَ بِمَا يَكْتُبُونَهُ مِن كَلِمَاتِ الثَّنَاءِ وَالتَّقْرِيظ ... ؛ فَإِذَا مَا عَلِمْتَ أَنَّ وَسَطَهُم هَذَا ـ وَسَطُ رِجَالاتِ الصَّحَافَةِ ـ يَمُوجُ بِالمُجَامَلاتِ وَالمَصَالِحِ المُتَبَادَلَة ... ؛ فَضَعَ أَمْرَهُم كُلَّهُ تَحْتَ شِرَاكِ نَعْلِك .

إِذَن ... ؛ فَقَد جَاءَت هَذِهِ الدِّرَاسَةُ لِتُبَيِّنَ حَقِيقَةَ إِبْدَاعِ هَؤلاءِ المَشَاهِير ... ؛

وَكَى نُنَبِّهَ النَّاسَ إِلَى المَعَايِيرِ وَالمَقَايِيسِ وَالضَّوَابِطِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَالَّتِى يَجِبُ أَن تَكُونَ بِمَثَابَةِ مُنْطَلَقَاتِهِم الأَسَاسِيَّةِ الَّتِى يَنْطَلِقُونَ مِن خِلالِهَا عِنْدَ الحُكْمِ عَلَى هَذَا أَو ذَاك .

.....

أَعْلَمُ أَنَّنَا مَعْشَرَ العَرَبِ قَوْمٌ يَحْمِلُونَ العَدَاءَ لِمَن يَصْدِمُهُم بِالرَّأْيِ حَتَّى وَلَو كَانَ صَادِقَاً فِيمَا يَقُول !! ... ؛ هَذَا عَلَى الرَّغْمِ مِن كَوْنِ ذَاتِ هَذَا الرَّأْيِ لَو جَاءَ مِن قِبَلِ أَحَدِ مَشَاهِيرِ الغَرْبِ لأَذْعَنَت لَهُ النُّفُوس ؛ أَو عَلَى الأَقَلِّ وَقَفَت تَتَأَمَّلُ وَتُنَاقِش !! ... ؛ وَأُنَزِّلُ هَذَا الكَلامَ عَلَى مَقَامِنَا هَذَا ؛ فَأَقُول : لَو صَدَرَ مِن قِبَلَى حُكْمٌ مَنْهَجِىٌّ مُعَلَّلٌ عَلَى أَحَدِ الأُدَبَاءِ فِى صُورَةٍ تُخَالِفُ الرَّأْىَ الجَمَاهِيرِىَّ ؛ لَمَا اسْتَغْرَبْتُ كَثِيرَاً إِذَا مَا خَرَجَ مَن يَصْرُخُونَ وَيَقُولُون : مَتَّى خَرَجَ هَذَا الفَتَى ؟!! ... ؛ وَمِن أَيْنَ جَاء ؟!! ... ؛ مَا هُوَ إِلاَّ حَاقِدٌ !! ... ؛ مَا نَظُنُّهُ إِلاَّ مَوْتُورَاً !! ... ؛ وَهَكَذَا.

بَيْنَمَا لَو ذَهَبَ شَابٌّ إِلَى بَيْرُوت مَثَلاً ؛ وَظَهَرَ فِى بَعْضِ القَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ ؛ فَبَهْرَجَ وَطَنْطَنَ وَارْتَدَى زِىَّ الدَّجَاجِلَةِ وَأَخَذَ يُثْخِنُ شَاعِرَاً مِصْرِيَّاً كَبِيرَاً وَيُجَاهِدُ فِى تَحْقِيرِ أَمْرِهِ بِلا حُجَّةٍ مُرْضِيَةٍ وَلا دَلِيلٍ مُقْنِعٍ سِوَى لَبَاقَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الاسْتِعْرَاض ؛ ثُمَّ صَفَّقَ لَهُ الحُضُورُ ؛ وَأَشَادَ بِهِ زُعَمَاءُ هَذِهِ السَّاعَةِ أَيَّاً كَانُوا ؛ لَنَظَرَ إِلَيْهِ أَهْلُ مِصْر ؛ ثُمَّ قَالُوا : لَيْسَ فِى البَلَد ... ؛ إِلاَّ هَذَا الوَلَد !! ... ؛ فَإِذَا مَا عَادَ إِلَى القَاهِرَة : أَجْلَسُوهُ عَلَى عَرْشِ النَّقْد ؛ فَأَسْقَطَ مَن أَرَاد ؛ وَنَفَى

مَن شَاءَ وَطَرَحَهُ مِن شَاهِقٍ ... ؛ ثُمَّ لا اعْتِرَاضَ وَلا نَكِير !!.

أَقُول : وَأَنَا لا أَسْتَغْرِبُ مِثْلَ هَذَا الأَمْر !!... ؛ فَنَحْنُ أُمَّةٌ اعْتَادَت أَن تَأْتِى بِالطِّينِ ثُمَّ تَصْنَعُ مِنْهُ آلِهَةً ثُمَّ تَسْجُدُ لَهَا !! ... ؛ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ أَمْرَاً مَرْكُوزَاً فِى جِبِلَّتِهَا وَطَبْعِهَا !!.

قَالَهُ بِلِسَانِهِ ؛ وَقَيَّدَهُ بِبَنَانِهِ

نِزَار شَاهِين المِصْرِى

وَكَانَ الفَرَاغُ مِن هَذَا الَّذِى سُطِّرَ ؛ فِى :

ـ [الثَّامِن عَشَر مِن مَارِس : ٢٠١٢م]ـ

بِمَنْزِلِى ؛ فِى جَوْفِ الحَارَةِ العَتِيقَة ؛ بِتَلِّ الكُوم

بِمَدِينَةِ الرِّيَاض ؛ بِشَمَالِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّة

ـ مَنْهَجِى فِى إِنْشَاءِ هَذَا الكِتَاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

لَيْسَ مِن غَرَضِى فِى هَذَا العَمَلِ أَن أَنْشُرَ بَيْنَ ثَنَايَاهُ مَقَاييسَ وَأَدَوَاتَ مَنْهَجِى النَّقْدِىِّ ؛ بَل غَايَةُ الأَمْرِ هَاهُنَا : أَنَّنِى عَوَّلْتُ عَلَى المَنْهَجِ الانْطِبَاعِىِّ الَّذِى لا يَعْبَأُ إِلاَّ بِالنَّاحِيَةِ الجَمَالِيَّةِ ؛ ثُمَّ أَدْلُفُ مِن ذَلِكَ إِلَى الحَدِيثِ عَن بَعْضِ مَعَالِمِ قُوَّةِ الشَّاعِرِ مِنَ الجَانِبِ الشَّكْلِىِّ الظَّاهِرِىِّ ؛ ثُمَّ أَلِجُ إِلَى بَعْضِ القَضَايَا الأُخْرَى وَالَّتِى تَمَسُّ الشَّخْصِيَّةَ الشِّعْرِيَّةَ لِلشَّاعِرِ... ؛ ثُمَّ صَنَعْتُ إِطْلالَةً خَاطِفَةً عَلَى الشِّعْرِ النَّبَطِىِّ ؛ وَالَّذِى تَكْمُنُ بِهِ جَمَالِيَّاتٌ خَفِيَّةٌ لا تَتَجَلَّى إِلاَّ مِن خِلالِ أُسْلُوبٍ مُعَيَّنٍ وَطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ .

وَاللهُ مِن وَرَاءِ القَصْد .

نِزَار شَاهِين المِصْرِى

ـ [مَسَاءُ الخَمِيس : ١٣/ ٩/ ٢٠١٢م] ـ

الحَارَةُ العَتِيقَة